في بيتنا عريس ... !

سارة بنت محمد حسن

في بيتنا عريس...!

الحمد لله الذي جعل لبني آدم من أنفسهم أزواجًا ليسكن بعضهم إلى بعض وجعل بينهم مودة ورحمة،
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته واقتفى أثره.
أما بعد:
فهذه وريقات معطرة أهديها إلى أخواتي وبناتي، فتقبلي الهدية بقبول حسن وما صلح لك فإلى عقلك ضميه وما استنكرته فغضي الطرف عنه بحلم ينقيه، واعلمي أن الخطاب ها هنا للأنثى في جلسة مليئة بالإسرار، فأعيريني سمعك وقلبك لأصب في عقلك بعضَ الأسرار!

لماذا يتزوج الإنسان؟
سؤال قد يبدو للوهلة ساذجًا!
لكن هل يفجعك -أي بنيتي- أن تعلمي أن كثيرًا منا لا يدرك حقيقة الزواج وهدفه، وأنه هو الطريق الذي تقره الفطر وترتضيه الشرائع للحياة في مجتمع بني البشر، ولإشباع رغبات وحاجات نفسية وبدنية من عفة وسكن ومودة وميل وحب وأمومة وتملك وزينة!
كلام تقليدي!
بيد أن بعضنا يظن أن الزواج علاقة بين زميلي عمل، أو قرينين في لعبة منافسة! أو شيخ وطالب! أو مشروعًا استثماريًّا أو حتى اختبار قبول في معهد إعداد دعاة!
ألا تصدقينني يا ابنتي؟
فهلمّي إذن نتنقل بين بعض الأفكار التي تعوقنا عن فهم الزواج كما في العبارة التقليدية الأولى!
فطالما كان الذي أهوى إعمال القلم فيه هو آفات تفكير النساء عند اختيار الزوج الصالح فتتجنبيها، ولعل شذرات كلماتي تعينك على تمييز آفة نفسك لتبصري بعدها لغث والسمين فيمن حولك.
ولا يستجرينك الشيطان فيقول لك: هلّا خاطَبَتْ معاشر الذكور وبينت لهم

خلطهم وخبطهم!
فإنما أنا منك فاستفيدي وارتقي ودعكِ من بنيات الطريق!
وها هي أغزلها لك يا ابنتي فاقبليها بقبول حسن، وهيئيها على قدر ما تلائم صفحات عقلك رداء مزينًا قشيبًا... والله المستعان وعليه توكلنا، وإليه تبرأنا من كل حول لنا وقوة ولجأنا إلى حوله وقوته.

رسم صورة خيالية

أول آفات التفكير السليم عند اختيار الفتاة زوجًا هو سيطرة الخيال!
لن أقول أن أسباب هذا الإغراق الممتع في رواية تتلاعب بمشاعرك، ولن أتكلم على تسليم العقل لإعلام ومسلسلات بعيدة عن الواقع تبث سمومها...
دعينا من الأسباب، لكن أهمس لك -أي بنية-: الخيال لا يبني بيتًا!
بل لا يكون الخيال ممتعًا إلا إذا كان لنا واقع! فإذا طغى الخيال ودمر الواقع كان الخلل عميق الأثر... فانتبهي!
صورة الزواج وصفات الزوج لابد أن يشوبها الخيال، لكن الذكاء هو أن تدركي الخطوط الفاصلة بين الخيال والواقع، وبين احتياجك للزواج وصبرك في انتظار فارس ذي جواد أبيض بجناحين!
ولا يعني ذلك القبول بأي خاطب، أو القلق المفضي للوسوسة من فوات قطار الزواج، لكن يعني أنني أحثك على فهم واقعك، وتقدير رغباتك، ومحاولة تحديد رؤية قريبة من الواقع للزواج ومتطلباته، ورسم صورة واقعية أو قريبة من الواقع لصفات شريك الحياة الأنسب لك، ولو بوضع خطوط عريضة.

- كذلك من الخيال أن تظني أن الحب وحده يبني بيتًا، فتجعلي غاية أملك أن تتزوجي عن عشق وغرام ولو أسكنك فقرًا بعد غنًى، وجوعًا بعد شبع!
- ومن الخيال أن تظني أن الزوج الصالح بلا عيوب وبلا رغبات، فتصطدمي بصخرة الحياة القاسية!

فنحن بحاجة لفهم متطلبات الزواج، وإمكانيات الزوج الملائمة لقدرتك على الحياة؛ بلا غلو ولا تفريط مؤذ مؤدٍّ إلى التعاسة أو التمرد.

- وكذلك عليك أن تدركي مسئولياتك بعد الزواج فتعدي نفسك لها إعدادًا جيدًا، وتدربي نفسك على قبول العيش في ظل الحياة الزوجية بما يحب الله.

إذن: تحلَّي بشيء من الواقعية الممزوجة بالخيال اللذيذ، وساعدي نفسك على تحديد أهدافك ورغباتك وفهم الحياة بصورة صحيحة أو قريبة من الحقيقة، وافهمي ما هو مطلوب منك وما هي حقوقك، وذلك بالقراءة وتبادل الخبرات، واحذري هاهنا من:

الإفراط في العيش في بؤس الواقع:

فبعض البنات تسلم أذنيها لصديقات لم يَخْبُرْنَ الحياة، أو من خَبُرَت الحياة من أعسر مضايقها! أو من تخشى أن تنقل لك خبراتها فلا تقص عليك إلا الضيق والألم، وتخفي لحظات البهجة والسعادة، فتصور لك الزواج كمحاكم التفتيش الإسبانية، فتعزف نفسك عن مجرد التفكير في دخول هذا السجن المظلم الكئيب! ولا ينافسها في ذلك إلا الصديقة الحالمة التي تحدثك عن زوجها أو خاطبها وكأنه كامل الأوصاف الذي لا يضاهيه أحد! تفاخرًا وتشبعًا بما لم تعط، وارتداء لأثواب زور لتظهر بمظهر لائق، فتظلي هائمة على وجهك في انتظار رزق كرزقها الخيالي الحالم الذي لا يأتي أبدا!

فحين نقول انزلي من برجك الحالم فلا يعني هذا أن تصدقي بسذاجة كل ما يقال، لكن خذي الخبرات وأعملي عقلك وفطرتك، واطلبي الخبرة من مظانها؛ ممن لا ينافسك على دنيا، ولا يمضي وقته يتسرى بالتسخط على الفساد في أحوال العباد.

الدلال في الرفض:

وهذه من آفات التفكير في اختيار شريك الحياة!
فنغمة أنا صغيرة، والرفض لأسباب غير منطقية؛ سواء تعود لخيالية التفكير، أو لتقديم الرغبة في استكمال الدراسة، بل والدراسات العليا، ثم خبرة العمل...
وطوال الطريق ترفضين فرصًا ممتازة، ثم تفيق الفتاة نادمة على سنوات عمرها التي مرت في لحظة وكل محصولها منه هباء منثورٌ! حين تدرك أنه لا يزال لها قلب ينبض، ومشاعر بكر هُجرت، وحاجات ورغبات طمستها قشور تراكمت على بصيرتها وهي تلهث لإشباع رغبات ثانوية لكنها كانت براقة لامعة، فلما أُشبعت وانطفأ بريقها في عقلها وقلبها استفاقت، فتتلفت لإشباعها يمينًا ويسارًا فلا تجد إلا الفيافي التي قطعتها في رحلة النجاح المحموم!
وتارة يكون الدلال لأسباب أخرى مما سيأتي ذكرها مما يعود عليك بالندم بعد ذلك.
كذلك شعورك الضخم بذاتك واستحقاقك لشخص متميز له مواصفات لا توجد في البشر، وأنك المرغوبة التي لا عيب لها...كل ذلك دلال تدفع صاحبته الثمن ندمًا.
وعكسه:

استشراف الفرصة التي... لا تأتي أبدًا!

وهذا من البلاء!
فدائمًا تنتظر مستقبلًا مشرقًا له مواصفات مبهمة تارة، أو محددة بلا مرونة تارة أخرى، يضيق عن وجوده الوجود... ولو طال الانتظار فهي للانتظار وفية، تلهث خلف سراب أفكارها، وكلما تقدمت بها الحياة فالواقع يشهد أن القادم لن يكون أفضل، لكن سنوات الانتظار تقول لها: أتصومين كل هذا الدهر محرومةً ومضيعةً الفرصَ ثم تفطرين على بصلة... بل قشر بصلة!
لماذا لا أنتظر؟ ربما أتى ذلك الزوج الأكثر وسامة، أو الأوسع غنى، أو الأغزر علمًا، أو الأشد دينًا!
وتمر السنوات ولا تأتي الفرصة المبهرة!
بل تقل الفرص، ويدب اليأس والشعور بالانكسار والضيق والندم!
إذا تقدم لك شخص مناسب مقبول، فلماذا ترفضين في انتظار 'جودو' الذي لا يأتي أبدًا؟

التسرع في القبول:

وتلك عكس سابقتها المتدللة في الرفض.
فكم من فتاة تسارع إلى الموافقة تحت ضغط ما!
كهلع من فوات الفرص، أو لضغط عيون الناس، أو لتنافس صديقاتها! أو للهروب من بيت أهلها... والأسباب كثيرة.
ثم تفاجأ أن الزواج ليس نزهة تنتهي بعد ساعتين من التحمل والتصبر، وأنها كانت جائعةً فلم تر السوس في طعامها، والآن شبعت فأبصرت، فأصابها الذعر والهلع... فأين المفر؟
فتكون حينها بين مفترق طريقين أحلاهما مر كالعلقم... صبر على وضع بائس أو طلاق يفضي إلى بؤس في ظل مجتمع فاسد مريض!
فتّشي يا ابنتي في قلبك وعقلك عن الضغوط التي قد تدفعك إلى التسرع في القبول، وعالجيها بهدوء وحكمة، ولا تتركي نفسك نهبًا لضغط يدفعك لما لا تحمد عقباه.

ضعف الثقة بالنفس!

لستُ جميلة! فلن يقبل بي عريس مناسب...
سأرضى بأي شخص مهما كان لا يناسبني؛ لأني لستُ مميزة!
لعلك تنتظرين مني كتابة إنشائية عن كون كل فتاة فيها جمال ولكن عليها أن تبرزه، وأن لكل جمال من يبصره، وأن جمال الروح أعمق... إلى آخر كل هذا الكلام الذي أوقن أنك تعرفينه وتحفظينه ربما عن ظهر قلب... ولكن القضية أنه لا يمكنك أن تستشعريه!
حسنًا -أي بنية-، اسمحي لي أن أقول لك: لا عليك ألا تكوني جميلة، ولا عليك ألا يكون فيك ميزة مما يعجب الرجال ويسلب عقولهم...
ما رأيك لو نظرنا للدنيا كما ينبغي أن ننظر لها... إنها -يا ابنتي- ممر للاختبار!
معك أدوات للعبور، حباك الله بها... قد لا ترينها لأن البكاء جعل على عين عقلك غشاوة، أو لأنك أغلقت عينك فصرت لا تبصرين! فالآن أدعوك للتفتيش عن أدواتك التي أنعم الرب -جل وعلا- عليك بها، وأدعوك أن تتعاملي مع الدنيا كما خلقها الله، وتعرفي أنها دار بلاء وكدر لم تصفُ يوما لامرأة ولا لرجل.
وكم من جميلة تزوجت فسامها زوجها سوء العذاب، وكم من قبيحة غنى لها زوجها قصائد الشعر والغزل!
فدعك من التفكير والحزن، وعلقي أملك بالله وحده ثقة ويقينا في خالقك ومولاك، وفوضي الأمر إليه في ما هو آت!
إن رزقك -يا ابنتي- آتيك، فلا تستشرفيه حزينة فاقدة الأمل تظنين فواته...
ألا فاعلمي أن رزقك يناديك فلا تحزني لفوات أمر؛ فإن ما فاتك ليس رزقك جزمًا، فلا تجعلي ما ليس رزقك يدمر حياتك، سالبًا إياك نعمة الرضا والثقة في تقدير الرحمن، وأنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك.
ولو ترك لك اختيار بلائك من الدنيا لفوضت أمرك للرب الجبار، هو أعلم بنفسك منك وبما تطيقين أكثر من ظنك بنفسك {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: 14].
فثقي به وناجيه سائلة إياه من فضله متضرعة، وارضي بقضائه وقدره، واعلمي أن الدنيا فيها الكثير من المتع والعمل والإنجاز، فلا تجلسي في بؤس في انتظار حدث ما.... بل اغتنمي وقتك، وابذلي جهدك، وقدمي لنفسك ولدينك.

ولكل حال طاعة، فعليك قبل الزواج طاعات، وعليك بعده طاعات، فلا تذهب نفسك على شيء حسرات!

تضخم الذات!

وتلك عكس سابقتها!
فصاحبتنا ترى نفسها أحق الناس بالفوز بما تريد، بل بأفضل مما تريد!
فهي تعيش في دور ملكة متوجة تريد زوجًا يستحقها، وعليه أن يقدم أدلة دامغة على استحقاقه لها، ووسائل تقديم الأدلة يدفعها الخاطب استنزافًا لكرامته ورجولته، حتى يظن الناظر أنها تريد الزواج من حَمَلٍ مطيع معه أموال ورفاهية عيش ورغد فحسب.
وإن تسامحنا مع من عندها من المواصفات ما يتيح لها الإفراط في الغي والعيش في هذا التضخم والغرور –وليس ذاك بسبب مشروع للتيه والغرور، بل من كانت كذلك فمن جمالها التواضع!-، لكن العجب ممن ليس عندها مقومات تصلح للزواج سوى جمال الوجه مثلًا، أو مستوى اجتماعي مرتفع، أو مادي، أو مستوى علمي؛ سواء دنيوي أو ديني!
أما على صعيد الأخلاق والأنوثة وحسن الطباع، أو على صعيد مقومات الزوجة الناجحة الحاذقة العالمة بما يحتاجه الزواج الناجح، وكيفية مواجهة التحديات والصعوبات، وكيف تبذل تضحيات، وتحقق نجاحات، وتحصل على رغبات كما يتفاوض التاجر الحاذق في الأسواق... فليس عندها سوى خفي حنين!

وهي مع هذا لا تلتفت لتقويم نفسها، وتعيش بأنانية مفرطة راغبة في الزواج بطريقة معينة، لتعيش في الحياة الزوجية مستكملة مسيرة الأنانية وتضخم الذات...

وهي بين نارين؛ زواج تعيش فيه متعالية تسوم زوجها سوء العذاب أن تزوجها، وتذكره ليله ونهاره أن عليه واجب الحمد أن قبلت مثلها بمثله، والمسكين لا يكاد يرى حسنة لهذا الجحيم الذي تمنّ به عليه!
أو ترفض وتتدلل ثم تدعو بالويل والثبور وعظائم الأمور على قطيع العميان الذين لم يقدروها حق قدرها وكانوا يفرون منها فرارهم من الأسد والمجذوم حين تخرج

عليهم يوم الرؤية رافعة رأسها نافشة ريشها، تسأل بلهجة وكيل نيابة محترف، أو قل وزيرًا أو أميرًا يكلم العامة!
بل بلغ ببعضهن تحضير اختبارات قبول لمعهد... عفوا لرؤيتها.. وعلى المتقدم أن يثبت مستواه قبل أن تتفضل عليه بالموافقة!
على رسلك بنيتي!

انتكاسة فطرة الأنثى!

في ظل السنوات العجاف التي نحياها، لم يقدم مجتمعنا الرشيد لنا معاشر النساء توعية إلا من قبيل "كيف تقتلين أنوثتك؟"، و "الوسائل التعيسة لتكوني أنثى خبيثة"، أو "مئة وسيلة فعالة لتكوني رجلًا لا عالة"!
فانتكست فطر النساء، ولعنت أنوثتها مجاراة لمجتمع منتكس الفطرة مريض القلب!
فنتج عن ذلك نماذج مشوهة تظن أن ما هنّ فيه هو الحل الأمثل للبقاء في مجتمع يرى البقاء للأقوى، والتحكم والسيطرة للأغنى!
• فهذه تريد العمل لإثبات ذاتها، وحتى لا يتحكم فيها أحد؛ فالأمان في المال لا مع الرجال!
ولا شك أن زماننا وما نسمعه ونراه يوجل له القلب، بل تدمع له العين دمًا.
لكن يا ابنتي أنصتي!
إذا جاءك من تقبله روحك، ورجاك وسألك أن تثبتي ذاتك في بيتك، وعليه أن يكفيك ويعطيك ولا يحرمك... وكثير ما هم!
فإن أبدى لك ما تريدين من وثائق الأمان، ووافق على شرطك إن قصّر في نفقة ولو غير واجبة فلك الحق والمستحق! كل ما يشترطه إذا أصررت على العمل ألا تحيفي على بيتك وعيالك!
ألا ترين أن إصرارك على إثبات ذاتك لا لشيء إلا ذاتك هو انتكاسة فطرة الأنثى داخلك؟!
فالأنثى تعشق الركون لرجل تشعر معه بدفء الأمان، وتجد في نجاح بيتها وبذلها وصحة أولادها النفسية كل الإثبات لذاتها ونجاحها...
وإنما أخرجها من بيتها الشعور بعدم الدفء والأمان، فلا ينبغي أن يكون ما يخرجها من بيتها هو منافسة الرجال والمردان!
ولا شك أن التعلق والركون لإنسان ولو زوجك أو والدك إذا جاوزا حد المعقول فأول من يدفع الثمن هو الأنثى، لكن إن كان ذلك في إطار الفطرة التي فطر الله الناس عليها وأوجب بها قوامة الرجل وإنفاقه وطاعة المرأة لزوجها وغير ذلك من الأحكام، فهي قطرات غوث تجري ضمن نهر الفطرة وسلامة المجتمع النفسية والاجتماعية.

فما بالك يا ابنتي تشتهين الشقاء والسقم؟ وتشترطين ألا يكون زوجك قوامًا عليك يقوم بحاجتك ويكفيك؟

• وهذه تنفر من زوج "يتحكم" فيها فيأمرها وينهاها، وتريد زوجًا يتركها تفعل ما تشاء؛ فخروجها ودخولها ليس من شأنه، وسفرها مع صاحباتها وسهرها في الأسواق وعلى المقاهي حق لها بلا أدنى حق له لينازعها فضلًا عن زجرها ومنعها! وإن سألت عن حقوق الزوج فلكي تعطيه الدنية منها إن سمحت لها نفسها، تتشدق بتكرار "ليس من حقك كذا، ليس من حقك ذاك"، وجل استعداداتها النفسية هي إشهار سلاح حقي وحقك هربًا من الخضوع!

لماذا يا ابنتي؟

فتشي عن تلك الأنثى التي دفنتِها في عمقك فإنها تكاد تختنق... ألا تحلمين ببيت وسكن ورجل تخضعين له حبًّا واحترامًا... يا بنية لا تبدئي بسوء الظن والتنمر لسوء الطوية، وهناك في عمق فطرتك تقبع هذه الأنثى التي تعرف كيف يخضع لها زوجها بخضوعها له!

لا تحدثيني عن فلانة الي غُدر بها، وعلانة التي أساء إليها زوجها؛ فإن الإقبال على الزواج بهذه النفسية المشوهة بلا قرينة تبيح لك سوء الظن يشوه جمال الأنثى داخلك ويتعسك من حيث ظننت أنك ستسعدين!

ليس هكذا تؤكل الكتف، ولا كذا تؤخذ الدنيا!

• وهذه تريد الزواج من طالب علم يشاركها سهر الليالي في الطلب، وربما عقدت له اختبارات الفقه والعقيدة، ولم تقبل بأقل من حفظ متقن للقرآن بالمتشابهات! ناسية أن الرجل يريد أنثى يسكن إليها، لا شيخًا يتابعه ويقيم مستواه العلمي! ويا لسعادتها إن وجدت من يجاريها، وأشد منها سعادة من وجدت من يبدؤها الحماقة يضاهيها!

هذا من انتكاسة فطرة الأنثى داخلك، ونسيانك لغرض الزواج، وبروز الذكورة فيك مستترة تحت عباءة لامعة مكتوب عليها "طالبة علم"، فأذهبت سكرتها ما بقي من عقلك، وظننت أنك سالمة من آفة الاسترجال لتعلق ذلك بالدين والعلم...

زعمتِ!

فيا حبيبتي، لن تقضيا اليوم في مذاكرة ومناقشة فقهية سياسية عقدية، ولن يشاركك البكاء في الصلاة، ولن تستقبليه بكم حفظت يا أبا فلان، وتودعيه بلا تنس ورد المذاكرة يا أخي في الله!

يا حبيبتي، عنده أقران ومشايخ ربما أفضل منك ليفعل ذلك، وهو لم يتزوج لتفعلي به ذلك! وهذا من انتكاسات فطرة الأنثى داخلك، وسوء فهمك للزواج والغرض منه، وظنك أن الزواج علاقة أنداد كعلاقتك بقريناتك في حلق العلم!
وهذه الزيجة المشرقة التي يضاف فيها إلى الخلاف اليومي العادي خلافاتِ الفقه والعقيدة ستنتهي غالبًا بفشل ذريع إن أصبت من يقبل بهذا أو يمارسه من العقلاء الأسوياء؛ إذ إن راية التواصي بين عقلاء الشباب هو الفرار ممن هذه حالها فرارهم من المجذوم والأسد... يا ابنتي، أفيقي من الوهم!

الخوف من الفسخ ..ومن ثمّ ترك الحزم!

فيظهر لك إشارات وحقائق تنذرك من الإقدام، وتبين لك أن الفشل هو ما ينتظر هذه الزيجة، لكن أبعد كذا وكذا خطوبة؟
أبعد العقد؟
وماذا سيقول الناس؟ وكيف أبدأ من جديد؟
أنا أحبه، وكم قضيت من ليال ساهدة في انتظار الوصال!
أتفهم جدًّا هذا الشعور، لكنه لن يكون كشعور مهاجري الحبشة والمدينة وهم يتركون كل شيء من مال وعيال وبلاد ألفوها... بل الأشد منه موقف مؤمني سفينة نوح -عليه السلام- حين كانوا فوق سفينة وحدهم والناس يهلكون، وهم إلى وجهة غير معلومة ليبدؤوا كل شيء من الصفر... من جديد!
وشيء من الحزن والإحباط مع الوعي به وعلاجه، والقوة في مواجهة عواقبه مستعينة بالله مظهرة للرب وحده عجزك وافتقارك له سبحانه، خير لك من حياة تعيسة تتجرعين مرارتها، أو طلاق بعد ما يتركك حطام أنثى!
وأولى من ذلك أن تتعلمي مبكرًا قول: لا يصلح لي!
فتعلمي كيف تحسمي أمرك قبل الارتباط، وارفضي من تعرفين أنه لا يلائمك ولا يصلح لك، ولا تحملي هم الرفض طالما وضحت لك الرؤية.
وإياك أن تضعفي أمام نداء القلب الذي يخفت له نظر العقل!
فيا بنيتي، إنك إن استصحبت في حلك وترحالك أن قدر الله كله لك خير، وأن الدنيا للبلاء خلقت، فتصفو نفسك لقبول ما قدر الله عليك، هاتفة بعقل قلبك والشر ليس إليك ربي، وكل قضاء منك خير لي، والآخرة خير وأبقى... فمن استصحبت أن الدنيا للبلاء خلقت، سهل عليها أخذ قرارٍ في الوقت المناسب، وعلمت أن الأهون تجرع مرارة عاجلة يُذهِبُ أثَرَها اختلاف الليل والنهار حتى يُنسي.

هتك الستر أو.... لا زواج!

• بعض الفتيات لا ترتاح حتى تخبر الخاطب بما كان من أخطاء في الماضي، وهذا خطأ؛ فمن رحمة الله بنا أن أمر بالستر بعد الخطأ والتوبة، فلماذا تصرين ي-ا ابنتي- على هتك ستر نفسك؟

والأدهى والأمرّ أن يكون ما تتحدثين عنه حبًّا ساذجًا من ذكريات مشاعر الطفولة، فتثيري سوء ظن خاطبك، ويحسب أن الأمر عظيم جسيم، فتعرضين نفسك للشكوك وهوس الغيرة!

• وحتى لو كان الأمر جسيمًا، فإن التوبة تجب ما قبلها، فعلام السعي الحثيث إلى هتك الستر وإضاعة النعمة؟

أتفهّم أنه نوع من تعذيب النفس والتلذذ بذلك، وأنك تريدين الانتقام من نفسك، لكن هذا خطأ، فافرحي بنعم الله من ستره إياك ورزقه الذي ساقه إليك: زوج صالح!

ولا تعرضي نفسك لما لا تطيقين من البلاء، ولا تجعلي الناس بينك وبين ربك، فتوبتك لله وليس من تمامها أن يتصدق عليك إنسان -ولا زوجك- بصك غفران!

وكذا أنت، لا يكن همك هتك ستر خاطبك والنبش عن ماضيه!

طالما يظهر لك منه الصلاح فلا تفتشي في الماضي.

واعلمي أن الماضي لا يضمن صلاحُه صلاحَ المستقبل؛ كما لا يعني فساده فساد المستقبل!

فكم من صالح انتكس، وكم من طالح اهتدى، والقلوب تتقلب والإيمان يزيد وينقص.

فانظري إلى خاطبك اليوم كيف هو، ودعك من الماضي واسألي الله له ولك خير القدر في المستقبل.

طالما أني مذنبة فلن أرزق زوجًا صالحًا!

هاجس مهووس يصيب الفتيات: أن ذنوبها تعني أن الله سينتقم منها جزمًا ويسلط عليها زوجًا فاجرًا، وأنها وإن تابت فلا ريب أنها أيضًا ستعاقب!
أو أنه بالتأكيد أي خاطب لابد أن يكون سيئًا فتشك فيه وتتعنت.
أو تبدأ في تعذيب نفسها بأنها لا تستحق زوجًا صالحًا طيبًا، فإذا تقدم لها من ظاهره الصلاح رفضت أو تفننت في تطفيشه إمعانًا في الانتقام من نفسها وتعذيبها ومعاقبتها!
وكل هذا حماقة وسوء ظن بالله، وسقوط في فخ من فخاخ الشيطان!
من تاب تاب الله عليه، ومن استغاث بالله أغاثه، الله الشكور الكريم الرحيم الذي يفرح بتوبة عبده ويبدله حسنات ويستره ويعفو عنه، ما ظنكم برب العالمين الذي خلقنا وسوانا وهو أعلم بنا منا وأعلم بضعفنا وأرحم بنا من رحمة الأم بولدها!
لا أريدك -يا ابنتي- أن تجافي خالقك وسيدك ومولاك بسوء ظنك فيه -عز وجل- فيدفعك شيطانك إلى العجز والكسل والمعصية بما أصابك من القنوط من رحمة الرحمن!
لا يا ابنتي، أحسني الظن بمولاك، وعلقي قلبك به، واجعلي يقينك فيه يقيك شر نفسك.
فوضي أمرك له هاتفة ولا تكلني إلى نفسي ولا تحملني ما لا طاقة لي به، ثم ارض بقدره ولا تبالي!

- كذلك بعض الفتيات يفهمن الالتزام بصورة خاطئة، فتظن أن النقاب والخمار تشريف، ويدل على علو كعبها، وأنها قد بلغت مبالغ الصديقين والشهداء، فإذا فترت كما يفتر الناس وصمت نفسها بعار الانتكاس، فإذا جاءها خاطب في تلك الظروف العصيبة أصرت أن توضح له أنها ليست ملتزمة كما يظنون، فتصف نفسها بالنفاق والانتكاس، ويفر المسكين، وتسقط هي في دائرة الاكتئاب، ولو تفطنت لعلمت أن كل مسلم ملتزم بما التزم به ومفرط فيما فرط فيه، وأن الفتور ليس انتكاسًا، وأننا كلنا ضعفاء مساكين نرجو العفو والمغفرة والستر من الرحمن،

وأن النقاب والخمار والحجاب طاعة من ضمن الطاعات يزيد بها الإيمان إن أخلصنا النية لوجه الرحمن، ولا يدل على صلاح باطنك، ولا يعني أنك بلغتِ المنتهى ودرجات الملائكة والعصمة.

فلا داع -يا ابنتي- إلى التعسف والسقوط في فخ شيطاني يريد أن يحزنك فتعجزي عن استكمال الطريق، وافهمي أن الزواج كما أنه رزق من الله فإنه أيضًا وسيلة للعفة والطاعة ؛كما أن الطعام والشراب وسيلة لسد جوعك والتقوي على العبادات، فلا تتعاملى مع الزواج كأنه جائزة المحسنين ونهاية الإرب والمطاف، بل هو وسيلة ومحطة من محطات الحياة لتعينك على الوصول إلى دار القرار قريرة العين في الجنة.

لن أتزوج؛ لأنني مهما اجتهدت في الاختيار ستظهر العيوب بعد الزواج!

هذه حقيقة، لكن لا كما تتوهمين!
فإن الإنسان بطبيعته يتزين للغرباء، ويخلع ملابس السهرة والخروج حين يدخل إلى بيته ويستشعر الدفء، فيحتاج إلى ملابس مريحة لن تضاهي ملابس الخروج أناقة!
لكنه سيظل على نفس نمطه العام؛ كما أنك كذلك ستظهر عيوبك بعد الزواج!
فإنه لو لاحظت قد بدل ثيابه لا جسده!
والزواج تختفي في طياته بعض العيوب التي كانت قبله فينا، وفي نفس الوقت تظهر عيوب جديدة لم يكن يعرفها الإنسان من نفسه ولا يعرفها منه القريبون!
والمسئولية تلوي أعناق الرجال فتغير فيهم وتظهر عيوبًا ومميزات أيضًا.
لكن بصفة عامة إن أحسنتِ الاختيار مستعينة بالله فهذه العيوب أمرها يسير.
ومع هذا أقول لك:
إذا كان من قدر الله أن يبتلي البعض بظهور عيوب في زوجه بعد الأخذ بالأسباب، فهذا من جملة ابتلاءات الدنيا، وله علاج في حينه يقدر بقدره... ولكن الآن أحسني الظن بربك واستعيني به، واهتمي واعتني بالأسباب بغير اعتماد عليها، بل كل اعتمادك على الرب الجليل وحده، ولا تعيشي همًّا وبلاء لم يفرض عليك فيدفعك للفرار من بلاء متوهم إلى جحيم لم تلقي له بالًا ولم تحسبي له حسابًا.
يا بنيتي: لا تختاري البلاء بيديك فرارًا من بلاء متوهم مظنون!

المثالية المتوهمة في تقييم الخاطب...

وأعني بها هذه الصورة... دعيني أرسمها لك:
بعض المتدينات تطلب زوجًا من عداد الملائكة!
والفرق بين صاحبتنا في هذه الآفة وأختها التي تنتظر خاطبًا مثاليًّا خياليًّا: أن هذه تضع شروطًا مظهرية بالأساس تقيم على أساسها الخاطب... بل وقد تسأل عن أمور هي بين العبد وربه، وتتوقع ردودًا واضحة.
يا ابنتي، لو هذا فهمك للحياة الزوجية... فأخشى عليك مما ينتظرك!
لا شك أن الألفة والراحة مطلوبة، وأن التناغم في الأفكار وزيادة مساحة الأمور المشتركة هي مما يزيد من احتمالات النجاح.
لكن ما تسعين إليه ليس هو من ذاك!
لحية وقميص وكم متنا أنهى وكم إجازة قد حاز!
فيا ابنتي، ليس كل صاحب لحية مناسب لك... بل ليس كل صاحب لحية يعتبر صاحب دين!
أليس القس والمشعوذ لهم لحية طويلة؟
فليست المظاهر دليلًا على حسن الجواهر دومًا، وليس قصدي التقليل من شأن العناية بالمظهر، ولكن القصد أن نضعه في مكانه الذي اختاره الشرع، فلا تجعليه مقياسك الوحيد للدلالة على الصلاح وحسن المخبر!
أريدك أن تكوني أكثر فهمًا وتعمقًا في حياة، وتدركي أنك قبل أن ترتدي حجابك وخمارك ونقابك كنت نفس تلك الفتاة بعد ارتدائه! لم يتغير فيك شيء إلا بمقدار يسير، هذا المقدار هو تأثير الطاعة فيك، لكنك لازلت تلك الفتاة الهادئة أو الغضوب، ولازلت تعانين من كثير من العيوب، ولا زلت تحبين نفس الطعام، وتأكلين بنفس النهم!
فقط أنت ذاكرت مادة الفيزياء جيدًا، ومجموع الثانوية يعتمد على اللغة العربية والإنجليزية والرياضيات والكيمياء والأحياء مع الفيزياء! ولن يقبلوك في الجامعة لمجرد أنك حصلت في الفيزياء على درجة كاملة، لابد من مجموع الدرجات!
فأريد أن تكون نظرتك أكثر شمولية وواقعية، وتقييمك أعمق وأشمل من الاعتماد على المظهر فقط.
وكذلك التدين لا يعني أن يكون طالبًا للعلم، بل قد يكفي أن يكون من عوام الناس

الذين يسألون العلماء إذا أشكل عليهم حكم، ومع ذلك فبينه وبين الله شيء قد لا يكون في كثير ممن يدعي الولاية ويتفاخر بحفظ ودراية!
والدليل:
انظري حولك... ومدينة الإسكندرية مملوءة اليوم بمسوخ كنا من قبل إذا رأينا بعضهم شعرنا بدفء الأخوة، فصارت اليوم مدينة احتلها الغيلان الذين انتكست فطرهم ولم يبق منهم إلا المظهر البراق!

هل اشتراط جامعة معينة تخرج منها الخاطب يعتبر خللًا في التفكير؟

إلى حد ما!
نحن حين ننصح بالبحث عمن يساميك فهذا لا يعني أن نخضع لفكر مجتمع سقيم!
تدركين اليوم -يا ابنتي- عقم هذا النظام التعليمي، وأن الناجح فيه قد لا يدل ذلك على رفعته، وأن الفاشل فيه لا يعني ذاك ضيعته!
فلا تعاملي الخاطب معاملة مكتب التنسيق!
والأكثر خللًا:

- مَن تفاضل بين جامعة عين شمس والقاهرة والزقازيق في نفس التخصص!
- ومن تجعل كليات القمة معدودة على الأصابع!
- ومن تظن أنه ولو أكمل الخاطب دراسته العليا فإنه لا يسامي من تخرجت من كليات القمة المزعومة!

وكل تلك كانت أفكارًا وعادات جاهلية لم تتخلق بالعقل والحكمة وحسن التقييم والتقدير!
كنت أظنها في طريقها إلى الانقراض، لكنني كالمعتاد كنت ساذجة جدا!
فأعيدي التفكير بأسلوب أكثر نضجًا، فإن نجاح الحياة لا علاقة له بشهادة معلقة على الجدران مغبرة بغبار كالقطران!

سأختبره!

سأقوم بعمل حسابٍ زائفٍ على مواقع التواصل وأختبر الخاطب لأتأكد أنه سليم الطوية طاهر الذيل نقيُّه!
وبغض النظر عن الحكم الشرعي في فعلك فإنني أتساءل:
لماذا يسعى البعض إلى هتك الأسرار بتعسف وإظهار أسوأ ما في الناس وتعريضهم للحرج والعنت والشقاء؟
وهل ما تفعلينه اليوم يضمن لك سلامة طويته غدًا؟
الإيمان يزيد وينقص، والأخلاق قد تبدلها الأيام والليالي، والنفوس ضعيفة في زمان فتن، لطيفة تتسلل إلى القلوب فتنكت فيه نكتًا سوداء.
فكوني عونًا للمسلمين على التخلق بأحسن الأخلاق، وكوني مقيلة للعثرات ساترة للزلات.
وقبل الإقدام على فعل استحضري قول النبي:"**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**"!
واعلمي كذلك أن مثل هذا لا يضمن لك المستقبل، فاجعلي يقينك بالله يقيك تقلبات الدهر والأزمان.

ميزة أم عيب؟!

بعض الفتيات تظن أنها تعيش في فيلم خلف الشاشة!
تنسى أن انبهارها بما تراه إنما كان لأن زجاج الشاشة حجب عنها أبخرة الدخان وحرارة الألم، فقلب لها الحقائق...كم أنت مضلل أيها المفسديون!
تريد أن تتزوج زوجًا كالبطل... قد رأى الدنيا و لف فيها ودار!
خبير بالنساء، اختارها بعد أن ذاق من كؤوس شتى...كذا تصور عقلها أنه سيسعدها!
لن أتحدث عمن تريده كالبطل الذي خطف البطلة فهامت حبًّا بالمجرم العتيد في الإجرام! فهذه حمقاء مريضة تحتاج إلى علاج، لكن أتكلم عمن ترفض الخاطب العفيف الذي ليس له خبرة وسابق عهد بالنساء لأنها تريد الخبير الذي رأى الدنيا وعاش المغامرة مع النساء!
هذا قلة نضج!
فاحذري تنميط السعادة كما يمليها عليك ممثل وممثلة في فيلم يفتقد إلى المصداقية والواقعية!

الحب قبل الزواج!

لا أنكر أن حلم الحب المشتعل الذي ينتهي بالزواج، ونظرة الحب الأولى التي يسقط بعدها صريع عينيك، وقصائد الغرام وسهر الليالي ووسادة مبللة بالدموع وقلب يخفق بالشوق، و...
حسنًا أعرف أن كل هذا يداعب خيالك وأحلامك!
لكن اسمحي لي بسؤال...
أين روميو وجولييت؟ هل تزوج عنتر عبلة؟ أما دريت؟! قد جُنّ قيس وهام على وجهه، وما مجنون بثينة منك ببعيد.
ماذا تعرفين عن حياة سنووايت وسندريلا بعد الزواج؟ هل لايزال الحب مشتعلا؟
توقفت القصة يا ابنتي عند: "وعاشا في تبات ونبات"، ولم نستطع معرفة طعم "التبات والنبات" هذا الذي عاشا فيه... ألا يمكن أن يكون علقمًا؟
إننا إذ نتعاطف مع المحبين ونشفق عليهم ونحث على تزويجهم؛ فإننا لا ندعوك بنيتي للبحث المحموم عن قصة حب وعشق وولهٍ! ولا أحب لك أن تعيشي لاهثة خلف أوهام مشاعر قد تكون مزيفة.
الحب ليس هو الذي تصوره القصص والأساطير، ولا هو هذا الشيء المبتذل الذي تعالجه المسلسلات والأفلام!
ولأن الدنيا كدر فإنني لا أضمن لك أن زواجك عن حب هو عنوان السعادة، وأن الستار سينزل ويدوي صوت الراوي... "عاشا في تبات ونبات"!
الحب مشاعر لها درجات، فكوني واقعية وأحسني الاختيار بعقلك وعاطفتك، وكوني أكثر مرونة في قبولك أساليب أخرى للزواج؛ كزواج الصالونات مثلًا.
واعلمي أن القبول وعدم النفور يكفي للشروع في علاقة الزواج فيضيء في قلبك بذرة الحب مع جريان نهر الحياة الجادة تحت مظلة تبادل الاحترام.
والقبول الذي يكفي للشروع في الزواج معناه: أن تتقبلي هذا الشخص، ويكون لديك تجاهه راحة وبعض الألفة، وتتقبلي فكرة أن تعيشي معه تحت سقف واحد ويغلق عليكما باب واحد.

وإن أحسنتِ الاختيار فيوشك أن تتكون بينك وبين زوجك ألفة وود يتطور إلى حب، وبقليل من الجهد قد تحصلين على لحظات ناعمة كتلك التي تداعب أحلامك، وهي تكفي إن عرفتِ أن الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هي دار القرار.
واعلمي أن السعادة الحقيقية إنما هي في تقوى الله ومراعاة حدوده، فكلما كان ذلك همك كفاك الله ما أهمك -إن شاء- وشرح صدرك.

كيف أختار شريك حياتي؟

وبعد أن طوفنا في هذه الأفكار، وحاولنا تخلية المحل مما فيه من الدغل والشوائب، اسمحي لي أن أنير لك الطريق بشذرات من ذهب!

- كيف تختار الفتاة زوجها؟

كيف تختار الفتاة ذاك الذي سيشاركها المستقبل، والذي ستترك من أجله بيتًا فيه درجت، وأناسًا بينهم نضجت؟

فأعيريني -أي بنية- سمعًا واعيًا وقلبًا شاهدًا...

تزوجي رجلًا يعي الفرق بين الرجولة والذكورة:

يرى الرجولة خلقًا مكتسبًا لا مجرد خلقة بلا تعب ولا نصب!

يعرف أن القوامة مسئولية لا تسلط القوي على الضعيف، يرى أن من واجبه أن يقِيَ زوجته الحاجة، ويخلع عليها رداء الكرم والسعادة، شهم النفس عزيز الكرامة، لينًا بلا ضعف، قويًّا بغير عنف، يحب فيعطي، ويكره فلا يحرمك ولا يظلمك، قوامًا يقوم اعوجاجك ويجبر نقصك لتستمر الحياة، لا يتعسف في التأديب والتوجيه تعسف الضعيف الذي تمكن فتسلط! لكنه ربان سفينة محنك يريد أن يصل برعيته إلى شط الأمان في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة متجنبًا مراتع الزلل والخلل ومظان الغرق والمغامرة!

ديّنًا:

يحب الله ويخشاه، ويرجو رحمته ويخشى عذابه، يسأل أهل العلم عما يجهل، ويحترمهم ويترك لك مساحات من الحرية للعمل الصالح وللزيادة في دينك، يحثك إذا فترت نفسك، ويسترك إذا عصيت، ويعينك إذا نشطت نفسك للخيرات.

إذا عصى ندم، وإذا أصاب طاعة فرح، يتقي الله في ماله من أين اكتسبه، ويصون لسانه وبصره مجتهدًا بجدٍّ، الذي يحفظ صلاته ولا يفرط ولا يتهاون فيها.

بارًّا لا يجور:

يرضي أهله بلا ذوبان في عباءتهم، يعرف حقهم وحق نفسه وحقك؛ فيعطي كل ذي حق حقه، وإن جار لرضى أهله جار على نفسه لا عليك باذلًا بسماحة نفس غيرَ مُطالبِك بترك حقك، بل متكفلًا ضامنًا الدفاع عن حقك.

إذا سمع منك خيرًا في حق أهله أشاع قولك، وإن سمع شرًّا عاتب ولم ينقل قولك، تاركًا النميمة والغيبة، كاتمًا السر، ولا يغرق في قيل وقال كسفيهات النساء.

كريم الخلق كريم الأصل:
الذي يتقي الله قولًا وفعلًا، يخشى عذابه ويتلمس رضاه؛ لا تظاهرًا ومظهرًا، لكن حرصًا قدر الاستطاعة.
الكفؤ المتناسب معك:
عليك -يا ابنتي- أن تراعي تكافؤ الحياة بينكما وتقارب الأفكار، فلا تحملي نفسك ما لا طاقة لك به بالزواج ممن هو أقل منك في المستوى الاجتماعي أو المادي بطريقة لا تتحملي معها الحياة، فتفتني نفسك من حيث أردت إصلاحها.
المتوافق معك إجمالًا:
وحاولي فهم نفسك وما إليه تسكُن، فهناك صفات تليق وتتناغم مع طباعك، وصفات ليست كذلك! فإن استعصت نفسك واحترت ففوضي أمرك إلى الجليل، واهتفي رب اختر لي ما يلائمني، عليك توكلت وإليك أنبت، فإني لا أحسن التدبير لنفسي، فلا تكلني إليها طرفة عين!
اختاري عيوبه كما ميزاته:
كذلك العيوب -يا ابنتي-، فمن العيوب ما يتفق العقلاء على هجره كبخيل وسليط اللسان!
ومن العيوب ما تتناغم معه نفسك حتى لا يكاد يعد في العيوب معيبًا، ومنها ما دون ذلك، فحددي ما يشين فاستبعديه، وحددي ما يمكن تمريره فمرريه؛،وما بين ذلك فمقبول ومرفوض، فإن أعسرتِ فإلى الله الملجأ والملاذ، وفي سجودك اسكبي الدمع رافعة أكف الضراعة للرحمن: اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين.
وكيف السبيل إلى حسن الاختيار وتمييز خلق الأخيار؟
وليكن حاديك في الحياة عامة، وعند اختيار الزوج خاصة: افتقارك إلى الرب متضرعة إليه أن يجبر كسرك وعجزك ويعينك، وتعلمي حسن التوكل عليه باعتماد قلبك كل الاعتماد على ربك.
وعليك بالأخذ بالأسباب: من سؤال عنه في محل عمله وسكنه ومسجد قريب من بيته، وكذلك نقاشك معه بهدوء وذكاء مستحضرة حسن الاستعانة بالله وانكسار المحتاج الفقير العاجز إلى الرب الغني الحكيم العليم الذي هو أعلم بك منك.
ومن الأخذ بالأسباب: تنقية عقلك من تلك الشوائب سابقة الذكر، والحرص على حسن التفكير وتبادل الخبرات.
وبهذه الأسباب، ومع قوة تعلق القلب واعتماده على رب الأسباب؛ سيمكنك بعون

الله تحديد الكثير من الخطوط العريضة فيما سبق، وتتكفل بعض المواقف بإظهار بعض الصفات الحميدة أو المعيبة.
ولكن أريد أن يكون حاديك الأول قوة اعتماد قلبك على الرب -جل وعلا-، فتعلمي أن كل قدره خير لك، وأنه ما ابتلاك إلا ليعافيك، ولا حرمك إلا ليمنحك، فاسأليه من فضله أولًا وآخرًا.
واعلمي أن الخطوط العريضة من المواصفات مع القبول يكفي إن وفقك الرب -جل وعلا-، فكوني مع الله تغنمي.
فهذا ذكر حسن مختصر للصفات المجملة التي ينبغي أن تراعيها الفتاة العاقلة عند اختيار الزوج.
واعلمي -يا ابنتي- أن دنيانا دار بلاء وابتلاء، فاستصحبي الرضا بالقضاء في حلك وترحالك، ودافعي بالصبر والتوكل ما يسيء إلى فؤادك، واعلمي أن في كل قدر الله خير، فالتمسي بصيص النور في استخراج بعض حكمة الرب الرحيم ومعرفة لطفه وكرمه وجوده.
والدنيا كلها مشقة؛ فالتمسي ما يعينك على مشاقها، ولا تنسي زاد الآخرة، وليكن صدرك كريمًا واسعًا يتغافل عما يتغافل عنه العقلاء، ولا يطلب كمالًا مفقودًا في بني البشر، وتعلمي التنازل... لكن كما يفعل التاجر الحاذق؛ بلا خسارة مؤثرة على رأس ماله!

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.